التوظيف التجديدي لعادات العرب عند سيد قطب

د.رابح أمينـة

كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية

جامعة وهران

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، أيد به محمد بن عبد الله سيد و لد عدنان، خير من نطق الضاد ، و على آله وصحبه إلى يوم الدين .أما بعد .

القرآن الكريم رسالة الله الخالدة إلى يوم الدين أنزله سبحانه وتعالى بلسان عربي،نظم حياة الناس عبر الأزمنة ، فكان من اليسير فهمه أول التنزيل ،فالصحابة أهل بيان و من عاشرهم كذلك من التابعين ، ولكن ببعد الزمن عن مورد التشريع لزم الناظر في القرآن من استصحاب معرفة قائمة على وعي بوعاء التشريع ،و لسانه وهي من الشروط التي وقتها العلماء للمفسر ، يقول الزركشي :" التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان..."1.

و يقول في موضع آخر :"وإنما يفهم بعض معانيه ، ويطلع على أسراره ومبانيه، من قوي نظره ، واتسع مجاله في الفكر وتدبره ، وامتد باعه ، ورقت طباعه ، وامتد في فنون الأدب ، وأحاط بلغة العرب."

ولمعرفة أثر العلم بمقام التشريع اخترت دراسة تفسير معاصر للوقوف على مدى تأثير العلم بالمعهود العربي في تفسير القرآن ، والتفسير المختار هو "في ظلال القرآن للسيد قطب " ، فسأحاول استقراء جزئيات المسألة وتتبع قواعد منهجه سيد قطب و توظيفه التجديدي للمعهود العربي .

قبل التطرق لمنهج الشيخ سيد قطب في توظيف عادات العرب لابد من عرض بعض التعاريف و بسط بعض الحقائق التي تخدم الموضوع . وهي الترجمة لسيد قطب و كتابه في ظلال القرآن و كذا مصطلح عادات العرب .

أولا :

أ –الترجمة لسيد قطب و كتابه في ظلال القرآن.3 :

اسمه ونسبه : هو سيد قطب الحاج إبراهيم حسين شاذلي ، ولد سنة 1906م بإحدى قرى أسيوط بصعيد مصر ،نشأ سيد قطب في أسرة متدينة ، وقد كان لأبويه تأثير كبير في تنشئته ،

حيث تركا لمساهما التربوية على الكثير من جوانب شخصيته ، وغرسا فيه الكثير من المعاني و القيم

و المبادئ ، استطاع سيد قطب أن يلتحق بالمدرسة الحكومية في سن مبكرة ،كما استطاع أن يحفظ القرآن الكريم كاملا.

لقد امتلك سيد قطب شجاعة أدبية في سن مبكرة ، فكثيرا ما كان يحضر مجالس التفسير وحلق العلم في مساجد قريته ، يناقش دون كلل ولا ملل ،استطاع سيد قطب أن يلتحق بالقاهرة حيث التحق هناك بمدرسة المعلمين اليتخرج بعد ثلاث سنوات "بإجازة الكفاءة للتعليم الأولي "،ثم بعد ذلك التحق سيد قطب رحمه الله بكلية دار العلوم ليتخرج منها بشهادة الليسانس في الآداب مع دبلوم في التربية .

لقد كان لسيد قطب مشاركات أدبية وعلمية و مقالات صحفية منذ كان طالبا في كلية العلوم .

ب– في ظلال القرآن :

هو تفسير ادبي و جداني تربوي معاصر كانت بدايته عبارة عن مقالات تنشر في مجلة "المسلمونحيث كان سيد قطب يفسر بعض الآيات القرآنية وفق ترتيب المصحف ، وعند بلوغه الحلقة السابعة قرر أن في ظلال القرآن ستنشر مستقلة في ثلاثين جزء على التتابع وتنشرها دار الإحياء، وهكذا صدر من التفسير الأجزاء الأولى حتى نهاية سورة طه ، و قدر الله لسيد ان يكمل كتابة تفسيره وهو في السجن بعد تلك المحن التي أصابت مصر وجماعة الإخوان المسلمين .4

ومعلوم ما للسجن من إيجابيات و سلبيات على المفسر ، فهو من جهة خلوة حقيقية تجعل الناظر في القرآن يعيشه كما أن من سلبيات تسرب بعض المشاعر الناتجة عن الشعور بالظلم لذلك التفسير فتنتج عنه بعض العباراتالقاسية خاصة في جانب تنزيل الآيات على الواقع .ورغم كل ذلك يظل في ظلال القرآن من الكتب الرائدة في مجال التفسير ، قدم الكثير من الصور التجديدية على صعيد التفسير الموضوعي ، إظهار الوحدة القرآنية ، وكذا التصوير الفني .

ثانيا : ضبط مصطلح عادات العرب *:

في اللغة :

و هي الديدن الذي يعاد إليه ... وعوّده الشيءَ: جعله يعتاده. والمِعاوِدُ: المواظِبُ، وهو منه. قال الليث: يقال للرجل المواظبِ على أَمْرٍ: معاوِدٌ.وهي الدأب والملازمة .5

وقيل في معجم مقايس العرب : العادة هي الدربة و التمادي في الشيء حتى يصير سجية ، ...و الجمل المسن يسمى عودا وممكن أي يكون من هذا كانه عاود الأسفار مرة بعد مرة.6

.وأما في الاصطلاح فنجد أن : الجرجاني عرفها بقوله :"ما استمر الناس عليه على حكم المعقول ، وعادوا إليه مرة بعد أخرى"7.التعريفات للجرجاني.و كأن الجرجاني اقتصر على تلك العادات الحسنة و التي يحكم العقل بحسنها في حين أن العادة تفيد ملازمة الفعل أو القول و تكراره سواء كان قبيحا أو حسنا .

ويعرفها الكفوي بقوله :"ما استمورا عليه عند حكم المعقول و عادوا له مرة بعد أخرى "ينظر617الكفوي الكليات .8

وبتعريف مقارب نجد **ابن نجيم** يعرف العادة بتعريق مقارب فالعادة :"عبارة عما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المقبولة عند الطباع السليمة ".9.

فما ورد في الإصلاح الشرعي العام مؤكد لتلك المعاني اللغوية و التي بدورها أشارت إلى أهم شروط العادة وهي التكرار و الاستمرارية والمواضبة كما يلحظ أن التعاريف ركزت على العادات الحسنة دون ذكر العادات السيئة و لعل هذا راجع لطبيعة الدرس الفقهي الذي يتناول العادات و الأعراف الشرعية بالدراسة.

في حين أننا لا نجد تعريف واضحا للعادات عند المفسرين، ومرد ذلك أن المفسر في في درسه يهتم بالتحليل أكثر من اهتمامه بالتأصيل ، ولكن ذلك لا يمنع من وجود إشارات لتلك العادات في المدونات التفسيرية والدراسات القرآنية ،كيف لا و القرآن قد جاء لتحقيق الصلاح للإنسان من خلال تهذيب سلوكاته الفردية و الجماعية و التي تقتضي تجذرها في حياتهم .

أما العرب : فهم جيل من الناس خلاف العجم ،والنسبة إليهم عَرَبِيّ بيِّن العروبة،. 10

فعادات العرب إذن هي ما استمر عليه العرب في أقوالهم وأفعالهم مدة من الزمن حتى جاء التشريع فهذب ، وصوب و ترك الحسن منها . و يتوقف فهم الكثير من آي القرآن على فقه تلك العادات العربية التي تعد جزء لا يتجزء من المنظومة القراءة الراشدة للقرآن الكريم .

ثانيا : معالم التوظيف التجديدي لعادات العرب عند سيد قطب :

لسيد قطب منهج متميز في توظيف عادات العرب في التفسير يقوم مجموعة من المعالم وهي كما يلي:

1 : توظيف العلم بعادات العرب في تقرير وحدة الكلية للسورة :

لقد كان لسيد قطب عناية خاصة ببيان ما يسمى وحدة السورة القرآنية التي تقوم على شبكة من الموضوعات الجزئية المتضمنة للأحكام والقصص و المواعظ و العبر و المشاهد والأمثال .ومن عادته التفسيرية أن يشير إلى تلك الوحدة من خلال مقدمة تعريفية بالسورة القرآنية يوظف فيها في كل مرة مسلكا من مسالك تحقيق الوحدة و على رأسها العلم بأحوال السورة و ظروف نزولها و ما أحيط به الخطاب من بيئة خاصة .

فنجده مثلا في مطلع تفسيره لسورة الجن يحاول أن يقدم لها صورة كلية وقد استعان لتحصيل مقصوده بمعهود العرب فقال :"ثم إنها تصحيح لأوهام كثيرة عن عالم الجن في نفوس المخاطبين ابتداء بهذه السورة ، وفي نفوس الناس جميعا من قبل ومن بعد ووضع حقيقة هذا الخلق المغيب في موضعها بلا غلو ولا اعتساف. فقد كان العرب المخاطبون بهذا القرآن أول مرة يعتقدون أن للجن سلطانا في الأرض ، فكان الواحد منهم إذا أمسى بواد أو قفر ، لجأ إلى الاستعاذة بعظيم الجن الحاكم لما نزل فيه من الأرض ، فقال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه .. ثم بات آمنا! كذلك كانوا يعتقدون أن الجن تعلم الغيب وتخبر به الكهان فيتنبأون بما يتنبأون. وفيهم من عبد الجن وجعل بينهم وبين اللّه نسبا ، وزعم له سبحانه وتعالى زوجة منهم تلد له الملائكة! والاعتقاد في الجن على هذا النحو أو شبهه كان فاشيا في كل جاهلية."11.

و نضرب مثلا آخر أوضح لمسلك توظيف العلم ببيئة الخطاب وعادت العرب في توضيح موضوع السورة ووحدتها وهي سورة المطففين و التي قال فيها سيد قطب:" هذه السورة تصور قطاعا من الواقع العملي الذي كانت الدعوة تواجهه في مكة –إلى جانب ما كانت تستهدفه من إيقاظ القلوب، وهز المشاعر، وتوجيهها إلى هذا الحدث الجديد في حياة العرب وفي حياة الإنسانية.....والسورة في عمومها تمثل جانبا من بيئة الدعوة ،كما تمثل جانبا من أسلوب الدعوة في مواجهة واقع البيئة ، وواقع النفس البشرية ... وهذا ما سنحاول الكشف عنه في عرضنا للسورة بالتفصيل .."12

ثانيا :توظيف العلم بالعادات العربية في بناء مشاهد التصوير الفني في القرآن :

يتميز القرآن الكريم بخصائص تعبيرية فنية تكسو أسلوبه " حتى يصطبغ بألوانها البراقة الزاهية فإنك لن تجد فيه بيانا مجردا لمعنى ذهني ، او حالة نفسية أو حادث مادي أو مشهد منظور ،أو طبيعة آدمية ، او موقف من مواقف يوم الحساب ، بل تجده عبر عن كل منها بصورة محسوسة متخيلة ، حاضرة شاخصة ، صورها بالألوان أو الحركات أو الإيقاع ....القرآن قد أحالك من قارئ أو مستمع إلى مشاهد يتابع أحداث المنظر ..."."[13]

ومن بين من اهتم بإظهار هاته الخاصية الإعجازية سيد قطب رحمه الله تعالى من خلال كتبه خاصة في ظلال القرآن و التصوير الفني في القرآن الكريم ،وعنه يقول هو :"تصوير حي منتزع من عالم الأحياء ،لا ألوان مجردة و خطوط جامدة ، تصوير تقاس الأبعاد فيه و المسافات بالمشاعر و الوجدانات ، فالمعاني ترسم و هي تتفاعل في نفوس آدمية أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عنها الحياة "14

فالتصوير إذن :"هو التعبير بكلمات ترسم للمعاني صورا و أشكالا تخاطب الذهن كما تخاطب الحس والوجدان تثير في النفس انفعالاتها و أحاسيسها ".

في كثير من الآيات و خاصة تلك المتعلقة بحياة العرب والتي صورها القرآن الكريم تجد سيد يستحضر الحياة بتفاصيلها والعادات بأشد خصوصياتها من أجل أن يقرب لقارئ القرآن تلك الصور و يجعلها شاخصة أمامه ، فيقول مثلا في تفسير قوله تعالى :"[فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ..]. [المدثر 51/49].ومشهد حمر الوحش وهي مستنفرة تفر في كل اتجاه ، حين تسمع زئير الأسد وتخشاه .. مشهد يعرفه العرب. 15

وهو مشهد عنيف الحركة. مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون! حين يخافون! فكيف إذا كانوا إنما ينفرون هذا النفار الذي يتحولون به من آدميين إلى حمر ، لا لأنهم خائفون مهددون بل لأن مذكرا يذكرهم بربهم وبمصيرهم ، وبمهد لهم الفرصة

ليتقوا ذلك الموقف الزري المهين ، وذلك المصير العصيب الأليم؟! إنها الريشة المبدعة ترسم هذا المشهد وتسجله في صلب الكون ، تتملاه النفوس ، فتخجل وتستنكف أن تكون فيه ، ويروح النافرون المعرضون أنفسهم يتوارون من الخجل "ويطامنون من الإعراض والنفار ، مخافة هذا التصوير الحي العنيف! تلك هيئتهم الخارجية. «حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ».

و في آية أخرى تحوي مشاهد أخرى تتضمن صورا من بيئة العربي قال تعالى :" **أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَت**" ..**[الغاشية 20/17]**

يقول سيد قطب :" وتجمع هذه الآيات الأربعة القصار ، أطراف بيئة العربي المخاطب بهذا القرآن أول مرة. كما تضم أطراف الخلائق البارزة في الكون كله. حين تتضمن السماء والأرض والجبال والجمال (ممثلة لسائر الحيوان) على مزية خاصة بالإبل في خلقها بصفة عامة وفي قيمتها للعربي بصفة خاصة.....

والإبل حيوان العربي الأول. عليها يسافر ويحمل. ومنها يشرب ويأكل. ومن أوبارها وجلودها يلبس وينزل. فهي مورده الأول للحياة. ثم إن لها خصائص تفردها من بين الحيوان. فهي على قوتها وضخامتها وضلاعة تكوينها ذلول يقودها الصغير فتنقاد ، وهي على عظم نفعها وخدمتها قليلة التكاليف. مرعاها ميسر ، وكلفتها ضئيلة ، وهي أصبر الحيوان المستأنس على الجوع والعطش والكدح وسوء الأحوال .. ثم إن لهيئتها مزية في تناسق المشهد الطبيعي المعروض كما سيجيء .... لهذا كله يوجه القرآن أنظار المخاطبين إلى تدبر خلق الإبل وهي بين أيديهم ، لا تحتاج منهم إلى نقلة ولا علم جديد .. «أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟» .. أفلا ينظرون إلى خلقتها وتكوينها؟ ثم يتدبرون : كيف خلقت على هذا النحو المناسب لوظيفتها ، المحقق لغاية خلقها ، المتناسق مع بيئتها ووظيفتها جميعا!.....

«وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ؟» .. وتوجيه القلب إلى السماء يتكرر في القرآن. وأولى الناس بأن يتوجهوا إلى السماء هم سكان الصحراء. حيث للسماء طعم ومذاق ، وإيقاع

وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ؟» .. والجبال عند العربي – بصفة خاصة – ملجأ وملاذ ، وأنيس وصاحب ، ومشهدها يوحي إلى النفس الإنسانية – بصفة عامة – جلالا واستهوالا. حيث يتضاءل الإنسان إلى جوارها ويستكين ، ويخشع للجلال السامق الرزين. والنفس في أحضان الجبل تتجه بطبيعتها إلى اللّه وتشعر أنها إليه أقرب.16

لقد فقه سيد قطب بيئة الرجل العربي و استطاع أن يوظفها لتوضيح المشهد القرآني و تجليته أما الناظر و تقريب الصور الفنية في القرآن .

ثالثا : تنزيل الآيات على الواقع من خلال توظيف العلم بعادات العرب :

يعد سيد قطب من أبرز المفسرين اعتناء بالواقع المعاصر ، وبحكم الفترة التي عاش فيها التي تميزت بالاستبداد السياسي و الانحراف الاجتاعي ، وظهور الحركات الإصلاحية التنويرية التي كانت تحاول التغيير على جميع المستوايات و خاصة على مستوى فهم القرآن و تنزيله على الواقع المعاصر فهو ينطلق من نظرة واقعية ، "للنصوص وينظر إليها بالمنظار الواقعي و يتعامل معها من هذه الزاوية الواقعية ،ولعل هذا من الأسباب الجوهرية التي جعلت للظلال مكانة و منزلة مرموقتين في العصر الحاضر ، وأكسبته حيوية واقعية ..".17 و قبل الحديث عن توظيف سيد قطب لعادات العرب في التفسير و التنزيل وجب الإشارة لمصطلح مهم هو مصطلح التنزيل و ما محله في الدرس التفسيري لدى سيد قطب .

ضبط مصطلح تنزيل الآيات على الواقع : فالتنزيل في اللغة هو والتنْزيل: ترتيب الشَّيء ووضعُه منْزِلَه. ينظر **لسان العرب ، معجم مقايس اللغة ، وفي الإصطلاح عرفه أحد الباحثين بقوله هو :"مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسر بما يشابهها في كتاب الله تعالى ، سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليه الآية "18**

أو هي مقابلة تلكالوقائع المعاصرة على تلك المصاحبة لزمن التشريع و محاولة ترتيب أحكامها و معانيها عليها .

فعملية تنزيل الأحكام لا تتم إلا من خلال أمرين النظر في النص و الخوص في أزمنة التشريع من خلال استحضار عادات العرب و كل ما يحيط بالخطاب من ملابسات و ظروف وغيره ، وكذا النظر في الحوادث الواقعة ومحاولة الربط بينها من خلال التفسير القرآني الباحث عن المعني المشتركة التي لا تخرج عن تهذيب أو إلغاء أو تقرير .

لقد آمن رحمة الله عليه بحتمية تنزيل القرآن على الواقع و هذا التنزيل لا يستقيم أبدا من غير فهم لمعهود العرب و معرفة تامة ببيئة الخطاب وظروف تنزيله و في ذلك يقول :"الأحوال و الملابسات ، والظروف و الحاجات و المقتضيات الواقعية العملية التي صاحبت نزول النص القرآني ، لابد من هذا الإدراك وجهة النص و أبعاد مدلولاته ، ولرؤية حيويته و هو يعمل وسط حي ويواجه حالة واقعة ، كما يواجه حالة واقعه ، كما يواجه أحياء يتحركون معه أو ضده ، وهذه الرؤية ضرورية لفقه أحكامه و تذوقها ، كما هي ضرورية للانتفاع بتوجيهاته كلما تكررت تلك الظروف و الملابسات في فترة تاريخية تالية "19.

ومن النماذج التفسيرية نجد ما يلي :

قال تعالى :**"وَآتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ ، وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ، وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ ، إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً"[النساء 2]و في ذلك يقول سيد قطب** :"هذا كله يقع إذن في البيئة التي خوطبت بهذه الآية أول مرة. فالخطاب يشي بأنه كان موجها إلى مخاطبين فيهم من تقع منه هذه الأمور. وهي أثر مصاحب من آثار الجاهلية .. وفي كل جاهلية يقع مثل هذا. ونحن نرى أمثاله في جاهليتنا الحاضرة في المدن والقرى. وما تزال أموال اليتامى تؤكل بشتى الطرق وشتى الحيل ، من أكثر الأوصياء، من أكثر الأوصياء ، على الرغم من كل الاحتياطات القانونية ، ومن رقابة الهيئات الحكومية المخصصة للإشراف على أموال القصر. فهذه المسألة لا تفلح فيها التشريعات القانونية ، ولا الرقابة الظاهرية كلا لا يفلح فيها إلا أمر واحد .. التقوى .. فهي التي تكفل الرقابة الداخلية على الضمائر ، فتصبح للتشريع قيمته وأثره. كما وقع بعد نزول هذه الآية ، إذ بلغ التحرج من الأوصياء أن يعزلوا مال اليتيم عن مالهم ، ويعزلوا طعامه عن طعامهم ، مبالغة في التحرج والتوقي من الوقوع في الذنب العظيم ، الذي حذرهم اللّه منه..."20

فسيد قطب إذن يحاول أن يستحضر تلك الجاهلية التي كانت زمن التشريع وتلك العادات السيئة التي جاء النص لتهذيبها من أجل مقارنتها بواقعنا اليوم فإن كانت موجودة أو تكررت صور مثلها تجده يدعو إلى تنزيل النص القرآني عليها ،فهو يؤكد أن الجاهلية قد تتكرر وفي ذلك يقول :"و إننا لنبخس القرآن قدره ، إذ نحن قرآنا و فهمناه على أنه حديث عن جاهليات كانت ،إنما هو حديث عن شتى الجاهليات في كل أعصار الحياة ، و مواجهة للواقع المنحرف دائما ، ورده إلى الصراط المستقيم ...." 21

ومن الآيات القرآنية التي أطال فيها أطال فيها نفس من خلال المقارنة بين واقعنا اليوم وبين حال العرب قبل الإسلام ،قال تعالى : **"هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "[الجمعة 2].**

فلفظ الضلال أخذ من سيد قطب صفحات ليوضحه و ذلك من خلال عرض العادات القبيحة للعرب فعاد للأثر المنقول عن جعفر بن ابي طالب أمام النجاشي الذي وضح فيه حالهم قبل الإسلام، ثم انتقل لحديث عن عائشة رضي الله عنها من أجل وصف العلاقات الأسرية التي تربط الرجل والمرأة و تلك الأنكحة الفاسدة التي عرفها العرب .ثم تحدث عن الوضع المزري للمراة في ظل تلك العادات السيئة ،وثم انتقل للحديث عن انتشار عبادة الأصنام و كثرة الحروب و تفاهة أسبابها وقد صدق حين سماها "الأرجاس الاجتماعية"، لينتقل مباشرة للحديث عن واقعه المعاصر فيقول :" إن الجاهلية هي الجاهلية. ولكل جاهلية أرجاسها وأدناسها. لا يهم موقعها من الزمان والمكان. فحيثما خلت قلوب الناس من عقيدة إلهية تحكم تصوراتهم ، ومن شريعة – منبثقة من هذه العقيدة – تحكم حياتهم ، فلن تكون إلا الجاهلية في صورة من صورها الكثيرة .. والجاهلية التي تتمرغ البشرية اليوم في وحلها ، لا تختلف في طبيعتها عن تلك الجاهلية العربية أو غيرها من الجاهليات التي عاصرتها في أنحاء الأرض ، حتى أنقذها منها الإسلام وطهرها وزكاها."

ثم يقول :" إن البشرية اليوم تعيش في ماخور كبير! ونظرة إلى صحافتها وأفلامها ومعارض أزيائها. ومسابقات جمالها ، ومراقصها ، وحاناتها. وإذاعاتها. ونظرة إلى سعارها المجنون للحم العاري ، والأوضاع المثيرة ، والإيحاءات المريضة ، في الأدب والفن وأجهزة الإعلام كلها .. إلى جانب نظامها الربوي ، وما يكمن وراءه من سعار للمال ، ووسائل خسيسة لجمعه وتثميره ، وعمليات نصب واحتيال وابتزاز تلبس ثوب القانون .. وإلى جانب التدهور الخلقي والانحلال الاجتماعي ، الذي أصبح يهدد كل نفس وكل بيت ، وكل نظام ، وكل تجمع إنساني .. نظرة إلى هذا كله تكفي للحكم على المصير البائس الذي تدلف إليه البشرية في ظل هذه الجاهلية."22 سيد قطب كان يحاول دائما أن يفيد مجتمعه من خلال التنبيه على تلك السلوكات السيئة التي حاربها الإسلام و التي كانت جزء من حياة العربي و ذلك من خلال العودة إلى القرآن و النظر في منهجه التربوي و كيف كان يقضي عليها و يعالجها فيقول عن الخمر مثلا "لقد عالج المنهج الرباني هذا كله ببضع آيات من القرآن وعلى مراحل ، وفي رفق وتؤدة. وكسب المعركة.دون حرب. ودون تضحيات. ودون إراقة دماء .....إن المنهج الرباني ، أخذ النفس الإنسانية ، بطريقته الخاصة .. أخذها بسلطان اللّه وخشيته ومراقبته ، وبحضور اللّه – سبحانه – فيها حضورا لا تملك الغفلة عنه لحظة من زمان .. أخذها جملة لا تفاريق .. وعالج الفطرة بطريقة خالق الفطرة ..لقد ملأ فراغها باهتمامات كبيرة لا تدع فيها فراغا تملؤه بنشوة الخمر ، وخيالات السكر ، وما يصاحبها من مفاخرات وخيلاء .. في الهواء..'23.

إن البعد الواقعي في تفسير سيد قطب يقوم على المعرفة التامة بتاريخية النص القرآني ، و العلم بأحوال من نزل فيهم النص و هو بذلك يحقق للمسلم ما يحتاجه من تفسير تربوي .

هذه بعض المعالم من توظيف عادات العرب في التفسير عند سيد قطب و يمكن لمن أراد الخوض في البحث ان يظهر الكثير من تلك القواعد على مستوى التأصيل والتنزيل كذلك .

الهوامش

الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،1/105.

1 - المصدر نفسه ،1/98.

2 - ينظر الترجمة الكاملة لسيد قطب في ، سيد قطب من الميلاد على الاستشهاد ، صلاح الخالدي .

3 - صلاح الخالدي ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ،602.

***ممن ضبط مصطلح عادات العرب نجد الدكتور عبد الفتاح احمد خضر في بحث عادات عربية في ضوء القرآن .**

4 - ابن نظر ، لسان العرب ، مادة ديدن .

5 - ابن فارس ، معجم مقاس اللغة ، 4/182.

6 - الجرجاني ، التعريفات ، 123.

7 - الكفوي ، الكليات ، 617.

8 - ابن نجيم ، الأشباه والنظائر ،93.

9 - ابن منظور ، لسان العرب .

10 -سيد قطب في ظلال القرآن 3721/6.

12سيد قطب مرجع سابق ،6/3854.

13نور الدين عتر ، علوم القرآن ، 226.

14سيد قطب ، لتصوير الفني في القرآن الكريم .32.

15أسماء فدعق .منهج سيد قطب في ظلال القرآن 324،سيد قطب ، في ضلال القرآن 7346/1

16سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 6/3898.

17عبد الفتاح الخالدي ، المنهج الحركي في ظلال القرآن 175.

18تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين ، عبد العزيز الضامر .33.

19سيد قطب ، في ظلال القرآن ،2121/4و ما بعدها .

20سيد قطب ' في ظلال القرآن ،577–567/1.

21في ظلال القرآن 1/ 1219 .

22في ظلال القرآن 511/1.

23في ظلال القرآن 666/2.